

الطائفة المسيحية في المغرب الإسلامي تحت حكم المرابطين: تعايش أم اضطهاد ؟

The Christian community in the Islamic Maghreb under the rule of the Almoravids: coexistence or persecution?

د. صديقي عبد الجبار (*)

المركز الجامعي نور البشير، البيض، الجزائر. abdeldjabarseddiki@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/04/28 تاريخ القبول: 2021/06/08 تاريخ النشر: 2021/10/09

كان عصر المرابطين (448 - 541 هـ / 1056 - 1147 م) عصر انفتاح على الطائفة المسيحية التي تزايد دورهم بشكل ملحوظ وفعال داخل السلطة والمجتمع في المغرب الإسلامي مقارنة بالعصور السابقة التي لا يكاد يكون فيها لهم ذكر، رغم ذلك تتوجه أغلب الدراسات الغربية التي اهتمت بتاريخ الغرب الإسلامي إلى اعتبار عصر المرابطين عصر محنة واضطهاد وتضييق على المسيحيين خاصة في المغرب مستندين في ذلك على مجموعة من الأحداث تتقدمهم حادثة تهجير المسيحيين المعاهدين من غرناطة سنة (520 هـ - 1126 م)، وحوادث أخرى كمنع المسيحيين من إقامة كنائس لهم في حواضر المغرب.

بناء على ما سبق سنحاول من خلال هذه الورقة البحثية تسليط الضوء على الوجود المسيحي في بلاد المغرب الإسلامي خلال العهد المرابطي، حيث سنستهدف عبر هذا العمل تتبع مناطق تركزهم، وأنماط معيشتهم وأسباب هجرتهم إلى بيئة يشكل فيها المسلمون أغلبية مطلقة ما يجعلها تختلف كلياً عن وطنهم الأصلي في الأندلس، وكيف أثر ذلك على طريقة اندماجهم في المجتمع المرابطي في المغرب الإسلامي، كما سنستعرض أدوارهم في المجتمع وداخل السلطة المرابطية، وتأثيرهم على بنية الجيش وقدراته، وإسهاماتهم في النشاط الاقتصادي ناهيك بحقيقة المعاملة التي لقيها المسيحيون في بلاد المغرب، وحقوقهم التي تشمل بالأساس حرية الممارسة الدينية، وحق في العدالة أمام التشريعات الإسلامية، مع محاولة فك عقدة تضارب الروايات فيما يخص مسألة قبول المسيحيين في المجتمع المغربي.

الملخص

المرابطين، الطائفة، المسيحيين، المغرب، اضطهاد، قبول.

الكلمات الدالة

Abstrac:

The era of the Almoravids (448-541 AH / 1056-1147 AD) was an era of openness to the Christian community whose role increased significantly and effectively within the authority and society in the Islamic Maghreb compared to previous eras in which there is hardly any mention of the dhimmis among the Christians. I was interested in the history of the

Islamic West to regard the era of the Almoravids as an era of tribulation, persecution and restriction on Christians, especially in Maghreb, based on a group of events preceded by the incident of the displacement of the treaty Christians from Granada in the year (520 AH -1126 AD), and other incidents such as preventing Christians from establishing their churches in metropolitan Maghreb.

Based on the above, we will try through this research paper to highlight the Christian presence in the Maghreb during the Almoravid era, where we will aim through this work to trace their areas of concentration, their patterns of life and the reasons for their migration to an environment completely different from their original homeland in Andalusia, where And how this affected the way they integrate into the Almoravid society in Morocco, as we will review their roles in society and within the Almoravid authority, and their impact on the structure and capabilities of the army, not to mention the reality of the treatment that Christians have received in the Maghreb, and their rights that mainly include freedom of religious practice, and the right to justice before legislation Islam, while trying to break the knot of conflicting narratives regarding the issue of the acceptance of Christians into Moroccan society.

Keywords: Almoravids, Christians, Al-Maghrib, persecution, acceptance.

(*)- المؤلف المرسل.

1. مقدمة:

لم يكن للوجود المسيحي في المغرب الإسلامي قبل المرابطين حضور يذكر، لكن سرعان ما تغير ذلك مع تزايد عدد المسيحيين الذين توجهوا إلى المغرب لعدة أسباب سنأتي على ذكرها لاحقاً، وقد أدى وصول المسيحيين بأعداد كبيرة لهذه المنطقة إلى تأثير جلي على مجالات عدة شملت بنية المجتمع والسلطة والنظام العسكري وكذلك النشاط الاقتصادي، وكان من الطبيعي أن تختلف مكانتهم في المغرب عن تلك الموجودة في الأندلس، فعند هجرتهم نحو المغرب لم يكن المسيحيون أصحاب الأراضي الأصليين الأمر الذي أثر على الطريقة التي اندمجوا بها

اجتماعيا، وكيف تطورت عاداتهم الدينية والاجتماعية والثقافية التي اختلفت إختلافاً جوهرياً عن عادات نظرائهم في الأندلس بسبب بيئتهم الاجتماعية الجديدة. وعلى الرغم من الندرة العامة في البحث عن مسيحيي شمال إفريقيا في العصر المرابطي، إلا أنني حاولت من خلال هذه الورقة فهم واقع الوجود المسيحي في المغرب، وأشكاله المختلفة، ومدى التسامح والقبول الذي لقوه من المجتمع المرابطي.

2- الطائفة المسيحية في المصادر التاريخية خلال عهد المرابطين

من المؤسف القول أنه لا توجد وثائق كافية حول تاريخ المسيحيين في المغرب الإسلامي خلال العصر المرابطي وهو ما يصعب المهمة على الباحثين الراغبين في تتبع مكانة المسيحيين في تلك الفترة وتحديد لها بشكل مناسب¹، وعليه فإن الندرة في المصادر هي الميزة الغالبة في الكتابات التاريخية التي تعنى بشؤون أهل الذمة في تلك الفترة على الرغم من الأدوار الاجتماعية والإدارية الهامة التي لعبوها.

لم يكن تدوين التاريخ المسيحي يشكل أولوية بالنسبة للمؤرخين المسلمين خلال القرن الحادي عشر ميلادي، وهو ما يتضح من خلال فشل العديد من المصادر التي اهتمت² بتوثيق الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية للمسيحيين في هذه الفترة تحديداً باستثناء عدد قليل من الكتابات التي صاحبت الحملات العسكرية³ والتي نقلت انطباعاً مشوهاً غير مكتمل عن الوجود المسيحي في المغرب الإسلامي، وذلك ربما يعود إلى الطبيعة السردية لهذه المصادر والأسلوب الإخباري الذي يركز بشكل أساسي على الأحداث السياسية الهامة، المرتبطة بالدولة والأسر الحاكمة، دون الخوض في التفاصيل التي تطرقت لشؤون العامة وقضايا المجتمع.

من ناحية أخرى جاءت الدراسات الغربية مثل كتابات دوزي، تيراس، دوفورك⁴ لتتناول العديد من قضايا المسيحيين المهملة في المصادر الإسلامية، وخاصة تلك التي اعتنت بحياتهم اليومية، وعلى الرغم من أن الوثائق المسيحية التي قدمها ماسلاتري⁵ تعتبر المصادر الرئيسية لتاريخ الأقلية المسيحية في المغرب الإسلامي، إلا أنها تركز على العصر الموحدية بدلاً من المرابطي، باستثناء بعض الوثائق المسيحية التي تستند أحياناً إلى آراء فيها كثير من التحيز

والتحامل على المرابطين الأمر الذي أدى إلى بناء مفاهيم وتصورات مسبقة عن المرابطين وطبيعة حكمهم تظهرهم كمتطرفين معادين للمسيحيين وغير متسامحين معهم وهو ما يعيق الدراسة الموضوعية الدقيقة، وكمثال على بعض الدراسات الأوروبية المتحيزة التي تنتقد المرابطين وتتهمهم بإساءة معاملة المسيحيين نذكر دوزي⁶ الذي يزعم أن التسامح الديني الذي انتشر في عهد الطائف (399هـ - 1009م/503هـ - 1110م) اعتبره المرابطون جريمة، أما فيلارد⁷ فيقول أنه كان يُنظر إلى اليهود والمسيحيين على أنهم مجرد "حشرات طفيلية" خلال العصر المرابطي، كما يدعي تيراس ودوفورك⁸ أن المرابطين شجعوا السلوك العنصري تجاه المسيحيين، أما الدراسات اللاحقة كتلك التي تصدرها عبد الله عنان⁹ فقد اتبعت نفس توجه الدراسات الاستشراقية التي اتهمت المرابطين بأنهم كانوا وراء معاناة المسيحيين وبؤسهم في كل من المغرب الإسلامي والأندلس.

3- الوجود المسيحي في المغرب الإسلامي

تشير الوثائق المسيحية إلى أن وجود المسيحيين في المغرب الإسلامي اقتصر على مجموعات صغيرة استقرت في تامسنا وفاس تمكنت من الحفاظ على معتقداتها المسيحية¹⁰، وذلك بعد أن قرر بعض المسيحيين التوجه إلى تمسنا وفاس بعد الفتح الإسلامي للأندلس 92هـ - 711م، ويذكر البكري أيضًا أن بعض المسيحيين استوطنوا تلمسان¹¹، تدعمه في ذلك الحفريات الأثرية الحديثة في تلمسان التي تشير إلى وجود مستوطنات مسيحية واسعة تعود إلى عام 507هـ - 1114م¹².

من ناحية أخرى تذكر بعض المصادر أنه حدث تناقص في عدد المسيحيين في بلاد المغرب خلال عهد الأدارسة بسبب سياستهم (171هـ - 788م/363هـ - 974م) المتشددة تجاههم قصد حملهم على اعتناق الإسلام¹³، لكن بعد فترة وجيزة من حكم الإدريسيين والفاطميين (296هـ - 909م/323هـ - 935م) تغير وضع المسيحيين بعد قيام دولة المرابطين (431هـ - 1040م) التي اعترفت رسمياً بحقوقهم كذميين، مما أدى لاحقاً إلى

تزايد نشاطهم في الدولة وداخل المجتمع المرابطي، ويشير ابن عذاري إلى أن عدد المسيحيين بلغ في مكناس وحدها نحو 3000 في عهد علي بن تاشفين¹⁴.

تمثل فترة حكم المرابطين تغييراً ملحوظاً في مواقف مسؤولي الدولة تجاه المسيحيين في المغرب الإسلامي إذ أن الدولة غيرت كثيراً من سلوكها تجاه هذه الطائفة حيث أصبحت تحضى بمزيد من الاهتمام والأدوار، على خلاف ما كان عليه الحال أثناء الحكم الإدريسي والفاطمي، فقد شهد الوجود المسيحي تنامياً ملحوظاً يتضح من خلال اندماجهم في أجهزة الدولة المرابطية وتوليهم عدة مناصب اختلفت من حيث أهميتها وتأثيرها، ويمكن حصر الوجود المسيحي في المغرب في الأشكال التالية:

3-1 الجنود والمرتزة المسيحيون في الجيش المرابطي

كان الوجود المسيحي في المغرب الإسلامي في عهد المرابطين يتكون بشكل أساسي من الجنود والمرتزة الذين تتضارب الروايات حول تاريخ مجيئهم¹⁵، غير أنه عند مقارنة النصوص التاريخية للمصادر المحلية يتضح أن يوسف بن تاشفين كان أول من وظف المسيحيين كمرتزة في المغرب الإسلامي، أما ابنه علي بن يوسف فكان أول من استخدمهم في جباية الضرائب وقيادة الجيش، ونتيجة لذلك زاد عددهم بحلول سنة (537هـ - 1143م) ليلبلغ حوالي 4000¹⁶.

وقد أورد صاحب الحلل الموشية أن آلاف الجنود المسيحيين كانوا يرافقون تاشفين بن علي في حملاته العسكرية في المغرب والأندلس¹⁷ مقابل رواتب محددة تدفع لهم، ومن المثير للاهتمام أن المسيحيين كانوا قد رفضوا أن يكونوا جنود أو مرتزة في عهد الطوائف في الأندلس بسبب عدم وجود حكومة مركزية قوية تحميهم، مما دفعهم إلى البقاء على الحياد وعدم الانحياز إلى طائفة من الطوائف الإسلامية المتصارعة على السلطة¹⁸.

وعن طريقة وصولهم إلى الجيش المرابطي، يذكر الناصري أن هؤلاء الجنود كانوا أسرى الهجمات العسكرية المرابطية على الممالك المسيحية الإسبانية في شمال إسبانيا¹⁹، وفي السياق ذاته يشير حسن محمود إلى أن هؤلاء عملوا كمرتزة مجبرين على ذلك في شكل عبيد²⁰.

3-2- أسرى الحرب والعبيد المسيحيين

شكل أسرى الحرب والعبيد جزء هاما من المجتمع المسيحي في المغرب الإسلامي إذ تشير المصادر إلى أن أعدادا هائلة من الأسرى والعبيد المسيحيين تم جلبهم من طرف المرابطين، فعندما عاد تاشفين بن علي من الأندلس سنة (531هـ - 1137م) أحضر معه ما يقرب من 6000 أمة مسيحية²¹، إضافة إلى ذلك، تم أسر 20 ألف أسير مسيحي خلال معركة الزلاقة (479هـ - 1086م) تم إحضارهم إلى المغرب²²، حيث اعتنق الكثير منهم الإسلام، بينما حافظ العديد منهم على معتقداته، وعلى الرغم من أنهم كانوا مجرد عبيد، إلا أنهم شاركوا بنشاط في الحياة الاجتماعية، وكانت من بين هؤلاء قمر أم علي بن يوسف، وهي أمة نصرانية كان لها تأثير كبير على سياسة الدولة المرابطية في مراحلها الأخيرة²³، ويروي ابن بشكوال أن بعض المسيحيين خدموا في بيوت المسلمين²⁴، كما تشير كتب النوازل إلى عشرات القضايا المتعلقة بالعبيد المسيحيين وقضاياهم مع أسيادهم المسلمين، والملاحظ أن قليل منها أشار لحالات القمع ضدهم²⁵.

وقد تمكن بعضهم من تحرير أنفسهم من خلال مواردهم المالية الخاصة مع إضفاء الطابع الرسمي على حريتهم في العقود المعروفة في الفقه الإسلامي باسم "المكاتبة"²⁶ تماشيا مع طبيعة الإسلام التي تهدف إلى القضاء على العبودية، وهو ما يتضح من عقود العتق في تلك الفترة التي تدل على أن العبيد المسيحيين سُمح لهم بالحصول على حريتهم مقابل مبلغ من المال كان يجب دفعه لأسيادهم المسلمين²⁷ على اعتبار أن أصحابهم دفعوا المال مقابل الحصول عليهم، في مقابل ذلك كان العديد من العبيد المسيحيين محظوظون بالحصول على حريتهم دون دفع أي شيء مقابل ذلك حتى أن بعضهم ورثوا ثروة عن أسيادهم المسلمين الأثرياء، على سبيل المثال، ذكر ابن الأبار في وصية صادرة في (522هـ - 1128م) أن: "على أبو عمران أن يطبق ما أوصى به أبو علي بأن يعطي عبده المسيحي الحرية ومبلغا كبيرا من ثروته"²⁸. إن ظاهرة العبودية التي مارسها المسلمون في تلك الحقبة لا ينبغي أن تُجرم بنفس طريقة العبودية الغربية في العصر الحديث، ولا ينبغي أن تُفهم وفقاً لسياق التاريخ المعاصر نظرا

لاختلاف السياقات التاريخية والتباين في شكل الممارسة في حد ذاتها، فضلا عن ذلك، سواء كانت العبودية فعل صحيح أو مذموم، فهو كان يمثل جزءًا من النظام الاجتماعي خلال تلك الحقبة، وعلى الرغم من أنها كانت تمارس على نطاق واسع، إلا أن معنى العبودية وكيف تم ممارستها اختلف اختلافاً كبيراً بين المجتمعات لذلك فإن النظرة الدقيقة للعبودية التي تعكس قبول العامة لها خلال تلك الحقبة لا ينبغي أن تؤدي إلى افتراض أن العبيد قد تعرضوا لسوء المعاملة، ولم يتلقوا أي حقوق أو حماية بل يجب مراجعة الطرق التي عوملوا بها قبل استخلاص أي استنتاجات²⁹، فبالرجوع إلى التشريعات الإسلامية يتضح أنها شددت على عدم إساءة معاملة العبيد كما شرعت صيغ مختلفة لتحريرهم ما أدى إلى الحد بشكل كبير من العبودية مع مرور الزمن³⁰، فقد كانت العبودية جزءاً من الهيكل الاجتماعي العالمي وكانت شائعة بين جميع الدول المتحاربة، وعليه كان من الضروري للإسلام أن يتبنى نهجاً مشابهاً للممارسة لكنه يأخذ بعين الاعتبار القضاء عليها على المدى البعيد.

3-3- المهجرون

يعتبر ترحيل المسيحيين من الأندلس إلى المغرب الإسلامي في عهد علي بن يوسف أهم حدث في تاريخ المسيحيين في هذه المنطقة، فقد ساهم ذلك في استقرارهم وتنامي حضورهم في بلاد المغرب، وتختلف المصادر في تحديد سنة جلائهم فقد ذكر ابن الخطيب أنه كان عام (519هـ - 1125م)³¹، غير أن النباهي ومؤلف الحلل المشوية يدعون أنه كان عام (520هـ - 1126م)³²، في حين يرجح أنه حدث عام (520هـ - 1126م)، لأن غزو ألفونسو باتلر (497هـ - 1104م / 528هـ - 1134م) لم ينته حتى شهر مارس من ذلك العام (520هـ - 1126م)، بعد ذلك سافر ابن رشد (الجد) على الفور إلى مراكش لإقناع علي بن تاشفين بإجلاء المسيحيين ثم عاد إلى قرطبة حيث وافته المنية في نفس العام³³.

أما عن سبب تهجيرهم فيتفق مؤرخون مثل ابن الخطيب وابن الوزان على أن السبب في أن علي بن يوسف قرر إجلاء المسيحيين هو تأمرهم لمساعدة ألفونسو المقاتل في حربه على غرناطة، وربما كان دعمهم لخطط ألفونسو يرجع إلى حقيقة أن مسيحيي الأندلس كانوا من

نفس العرق وإلى الفوائد المتوقعة التي سوف يتمتعون بها في ظل حكمه، وقد تم الإجماع بعد توصية من ابن رشد الذي نصح ابن يوسف بطردهم³⁴ واعتبر تعاونهم مع ألفونسو خرقاً لمعاهدة غرناطة، مما يجعل وضعهم كأهل ذمة باطلاً.³⁴

ولا يمكن الجزم فيما إذا كان المسيحيون المهجرون بحسب ابن الخطيب³⁶، فقط هم من شاركوا في اتفاقية غرناطة أم كانوا من مناطق مختلفة من الأندلس كما ورد في بعض الرسائل المرابطية³⁷، غير أن الرأي الثاني يبدو أكثر إقناعاً لأنه مدعوم برسالة أوردها الونشريسي تفيد بأن علي بن يوسف باع أراضي مسيحيي أشبيلية الذين تم نقلهم إلى مكناس، كما تشير الوثائق المسيحية إلى هذا الإجماع وتذكر أنه تم على ثلاث مراحل شملت مدن مالقة وغرناطة وإشبيلية³⁸.

إلى جانب الخلاف حول عام الإجماع وعدم وجود توافق في الروايات حول الأسباب المؤدية إليه، لا يزال عدد المسيحيين المهجرين غامضاً، كما أنه لا توجد وثيقة تاريخية تتطرق بوضوح لعدد المسيحيين المهجرين من غرناطة، لكن صاحب الحل أشار إلى أن عدد المسيحيين الذين تطوعوا للتعاون مع ألفونسو المقاتل وكتبوا أسمائهم في قائمة أرسلوها له كان عددهم 12000³⁹، ويشير هذا الرقم إلى المسيحيين من غرناطة فقط دون ذكر إشبيلية أو مالقة.

استقر معظم المسيحيين المهجرين إلى المغرب الإسلامي في مراكش حيث تم تجنيد الحاميات المسيحية في الحرس الملكي خاصة في نهاية عصر المرابطين، وقد كان العدد الإجمالي للجنود المسيحيين في مراكش فقط حوالي 4000⁴⁰، كما تكونت طائفة مسيحية مهمة أخرى في مكناس ضمت 3000 مسيحي من المهجرين⁴¹، واستقبلت مدينة سلا كذلك بعض المسيحيين المهجرين⁴²، بينما استقر عدد كبير منهم في فاس أيضاً⁴³، وعلى الرغم من أن هذه المدن قد استقبلت الجزء الأكبر من المسيحيين، إلا أنه يمكن العثور على مجتمعات مسيحية في العديد من المدن الأخرى في جميع أنحاء المغرب الإسلامي⁴⁴، وعلى الرغم من أن المرابطين هم من هجروا المسيحيين من الأندلس، إلا أنهم ساعدوا في إعادة توطينهم في المغرب، وهو ما يعني

أن نشأة دولة المرابطين أدى إلى عودة المسيحية إلى بلاد المغرب الإسلامي في مرحلة تاريخية كان فيها الوجود المسيحي في المغرب الإسلامي شبه معدوم.

4- مظاهر التعايش و القبول الاجتماعي للمسيحيين

بعد تهجيرهم من الأندلس، لم يكن أمام المسيحيين خيار سوى الاندماج مع سكان المغرب الإسلامي، لكن ذلك لم يحدث بالشكل المطلوب لأن المرابطين وفروا لهم بعض الأحياء المنعزلة داخل المدن، ففي مراكش مثلاً حيث عاش المهاجرون الأولون معاً في أحياء خاصة بهم تتكون من مجموعة كاملة من المساكن والمرافق التي تدعم نمط الحياة المسيحية مثل أسواقهم الخاصة، والحانات ولحوم الخنزير، هذه الحريات التي تمتع بها المسيحيون كانت مصدر قلق لابن تومرت (472هـ - 1080م/524هـ - 1130م) الذي عبر عن غضبه من السلطات المرابطية التي أبدت مثل هذا التساهل واشتكى ذلك أمام القاضي في حضور علي بن يوسف، وذلك قبل ثورته ضد المرابطين عام (515هـ - 1122م)⁴⁵، كما تم تخصيص حي خاص للمسيحيين في مكناس يُعرف باسم "درب الفتان"، بالإضافة إلى حي آخر يحمل اسماً إسبانياً يعرف باسم "داريرو".⁴⁶

وبالرغم من أن المسيحيين قد تم تزويدهم بأماكن خاصة ما جعل اندماجهم في المجتمع المغربي أمراً غير ضروري، إلا أنهم شاركوا في شؤون المجتمع، فعلى سبيل المثال يروي الوليد الطرطوشي⁴⁷ أن ابن الحصار وهو فقيه مسلم، كان له "جار مسيحي كان يساعده في قضاء حوائجه"، ورغم تحذير بعض الفقهاء من التعامل مع المسيحيين، خاصة في الأمور الحساسة مثل التجارة، غير أن المسلمين لم يستجيبوا لمثل هذه التحذيرات، وربما يكون هذا لأنهم شعروا أن مثل هذه المراسيم صدرت دون اعتبار كبير للارتباطات المتعددة بين المسلمين والمسيحيين وكانت في الواقع ذات دوافع سياسية تتعلق بالصراع بين المرابطين والممالك المسيحية في الأندلس أو بسبب التأثير المتزايد للمسيحيين بدلاً من كونها حكماً شرعياً صادراً عن الشريعة الإسلامية، فغالباً ما كان المسلمون في المغرب يمارسون التجارة مع المسيحيين مما ساعد على اندماجهم في المجتمع المغربي.⁴⁸

وعلى الرغم من الدعم الواضح من قبل الدولة المرابطية للانتقال السلس للمسيحيين إلى المجتمع المرابطي من حيث سكنهم، يبدو أن هناك ندرة في المعلومات المتعلقة بالنظام الاجتماعي للمسيحيين في المغرب الإسلامي، ومع ذلك يبدو أن لدى المسيحيين نوعاً من التنظيمات الاجتماعية المشابهة لتلك الطبقة في الأندلس والمعروفة باسم "القمامسة"⁴⁹ الذي كان يعتمد رسمياً لتمثيل المسيحيين، حيث دخل هذا النظام حيز التنفيذ منذ دخول الإسلام في المنطقة، فقد كان المسيحيون ينتخبون "قمامساً" واحداً يصبح ممثلاً لهم ويتولى كل شؤونهم، وكان للمسيحيين ممثلون وكهنة⁵⁰ وحتى قضاة خاصون للفصل في نزاعاتهم البينية⁵¹، ولم تكن هناك قيود على لباسهم أو طعامهم.⁵²

كما أن هناك عدد من الشواهد التي تشير إلى أنه سُمح للمسيحيين بشرب الكحول⁵³ واستخدام المرافق العامة على سبيل المثال سمح للمسيحيين بأخذ المياه المحفوظة في خزانات معهم⁵⁴، بل وأجيز للمسلمين اصطحاب المسيحيين في صلاة الاستسقاء⁵⁵، كما زودهم المرابطون بمقبرة خاصة أين يمكنهم ممارسة طقوسهم الجنائزية وفقاً لمعتقداتهم الخاصة⁵⁶، حيث كانت إحدى مقابر المسيحيين في مكناس تُعرف باسم "مقبرة الذميين".⁵⁷

لم يكتف المرابطون بمنح المسيحيين حقوقهم، بل قاموا أيضاً بحمايتهم ضد أي تعسف، و الشاهد أن مجموعة من المسيحيين ذهبوا ذات مرة إلى قلعة علي بن يوسف للشكوى من أحد عماله الذي أساء إليهم وعندما تأكد علي بن يوسف صحة ما يشتكون منه، وضع عامله في السجن⁵⁸، كما أن ابن رشد غيّر قراره الذي كان في يوم من الأيام لصالح مسلم عندما ثبت لديه أن النصراني بريء.⁵⁹

وسمح للمسيحيين العمل في جميع المهن مع الحصول على حقوقهم، فكان منهم جنود وتجار وحرفيين وأطباء، وبحسب ابن زيات حتى النساء المسلمات زرن الأطباء المسيحيين وربما أظهروا أجزاء من أجسادهم لأغراض العلاج⁶⁰، ولعل هذا قد يفسر سبب مطالبة ابن عبدون مقاطعة الأطباء المسيحيين بدعوى أن أدويتهم ليست آمنة.⁶¹

من ناحية أخرى لعب العمال المسيحيين دورًا مهمًا في البناء فقد ساهموا في إنجاز 400 ممر مائي تم من خلالها جمع المياه من جبل درعة في مبنى تم إنشاؤه لهذا الغرض في مراكش.⁶²

وليس من المستغرب أن المسيحيين أثروا في العادات والتقاليد الاجتماعية المتعلقة باحتفالات العامة، وهذا يعني أن الناس لم يكونوا حساسين تجاه المسيحيين بالقدر الذي كان عليه الفقهاء، لذلك انضموا إليهم في احتفالاتهم وعاداتهم.⁶³

من منظور اقتصادي شارك المسيحيون في جميع أشكال التجارة حيث ساعد بعض المسيحيين الذين كانوا يرتادون بلاد المغرب الإسلامي من وقت لآخر في تعبئة الموانئ مثل ميناء أنفا⁶⁴، ومنذ عام 1138م وجه التجار من جنوة ومرسيليا اهتمامهم إلى المغرب الإسلامي، وتحقيقا لهذه الغاية أبرموا معاهدات لوقف القرصنة بين الجانبين⁶⁵، وعلى الرغم من ندرة المعلومات عن التجار المسيحيين و أنشطتهم في تلك الفترة، يشير ابن الحاج إلى المكانة الاجتماعية البارزة لتاجر مسيحي وصفه بـ "ذي جاه ومقدرة".⁶⁶

في مقابل ذلك شابت علاقات المسيحيين بالمجتمع المرابطي أحداث عكرت صفو اندماجهم وأشعرتهم بنوع من القهر الاجتماعي الذي يمكن تصنيفه ضمن التفاعلات البشرية اليومية التي لا تشوه الوضع العام للمسيحيين، كما لا يمكن اعتبار ذلك أساسا للقول بأن الحياة الاجتماعية للمسيحيين في المغرب الإسلامي في عهد المرابطين كانت مقفلة كما ورد في بعض الكتابات الأوروبية⁶⁷ فمن العدل أن نقول أن المسيحيين كانوا يعاملون بشكل أساسي برفق ولطف وهذا ما يفسر الأدوار المختلفة والمحورية التي قام بها المسيحيون الذين تركوا وراءهم أدلة واضحة على مشاركتهم الفعالة في المجتمع المرابطي.

5- أدوار المسيحيين في السلطة المرابطية

5-1- الدور الإداري

لعب المسيحيون دورًا إداريًا هامًا في الدولة المرابطية مقابل حصولهم على الأمن الذي يحتاجونه من الحكومة، حيث تولوا مناصب مؤثرة في جميع المستويات⁶⁸، كما تولى المسيحيون

مسؤوليات قيادية في الجيش، بالإضافة إلى مهمة تحصيل الضرائب⁶⁹ وهذا ما يعكس نفوذهم وقوتهم داخل القصر الملكي⁷⁰، وهو ما يتجلى أكثر في الدور الذي لعبته والده علي بن يوسف المسيحية في تأمين الخلافة لابنها.⁷¹

كان تكليف المسيحيين بوظائف جباية الضرائب قراراً له خلفاؤه من طرف المرابطين وذلك لضمان تحصيل الضرائب بشكل صحيح، حيث لاحظوا أن المسلمين يميلون إلى أن يكونوا أكثر تساهلاً مع إخوانهم من المسيحيين، وقد اعتاد المسيحيون الذهاب إلى المدن والقرى والقبائل مرة في السنة لتحصيل الضرائب⁷²، وليس من الواضح ما إذا كان جباية الضرائب قد تم من قبل الجنود المسيحيين أو الموظفين المسيحيين، غير أن النويري يذكر أن جباية الضرائب كانوا جنوداً.⁷³

لم يكن المسيحيون لينعموا بمثل هذه الحريات والامتيازات، وما كانوا ليندمجوا في المجتمع الإسلامي لولا مساعدة علي بن يوسف الذي كان حسب فيلارد مهتمًا بالمسيحيين أكثر من اهتمامه بشعبه فقد أعاد عليهم الذهب والفضة وتركهم يستقروا في القصور⁷⁴، وهو ما يعد السبب الرئيسي الذي جعل المسيحيين مخلصين له⁷⁵، ويذهب بعض الكتاب الأوروبيين إلى أكثر من ذلك عند وصفهم علي بن يوسف بأنه "صديق المسيحيين".⁷⁶

وهناك أدلة تشير إلى أن أدوار المسيحيين في عهد المرابطين لم تقتصر على جباية الضرائب والبعثات العسكرية، ويمكن استنتاج هذه التفاصيل من رسالة أرسلها تاشفين بن علي إلى الفقهاء المسلمين يطلب منهم عدم إشراك المسيحيين في الأعمال الحكومية⁷⁷ وهذا ما يدل على أنه تم تكليف المسيحيين بمناصب حكومية من قبل، وقد جاءت تحذيرات تاشفين متأخرة، أي قبل ثلاث سنوات فقط من انخيار دولة المرابطين عام (541هـ - 1147م)، رغم ذلك يمكن القول أن هذه التصاريح التي أعطيت للمسيحيين في عهد المرابطين كانت فقط في عهد علي بن يوسف، وعلى الرغم من أن أول حاكم من دولة المرابطين يوسف بن تاشفين اشتهر بشدته، إلا أنه لم يظهر أي عداوة تجاه المسيحيين، بل على العكس من ذلك، سمح لهم بالتقرب منه واستخدامهم كحراس منذ الأيام الأولى لتوطينهم في المغرب⁷⁸، كما أن ابن

تاشفين كان حازمًا مع المسلمين قبل أن يكون حازمًا مع النصارى، بالإضافة إلى ذلك تمكن المسيحيون من الحفاظ على جميع امتيازاتهم العسكرية حتى انهيار دولة المرابطين ما يشير إلى أن موقف جميع حكام المرابطين كان موحدًا تجاه المسيحيين.

5-2 الدور العسكري

كانت مشاركة المسيحيين في جيش المرابطين أكثر وضوحًا من مشاركتهم في إدارة الدولة، ومن الإنصاف القول إن معظم المزايا التي حصلوا عليها من المرابطين كانت مقابل خدماتهم العسكرية حيث وظف المرابطون المسيحيين في المهام الأمنية والعسكرية، وكذلك في صناعة الأسلحة، وقد ارتقى عدد منهم إلى رتب عليا وأصبحوا قادة بارزين مثل لا غوارديا ريبيرتير (المتوفى 536هـ - 1142م) والذي كان من أعظم وأشجع القادة المسيحيين في جيش المرابطين، ثم ورثه ابنه علي بن ريبيرتير (ت 582هـ - 1187م) الذي اعتنق الإسلام وقاتل مع المرابطين حتى آخر نفس في دولتهم.⁷⁹

استخدم المرابطون الأقلية المسيحية كحراس ملكي لأول مرة في تاريخ المغرب الإسلامي مما كان له تأثير مباشر على بنية الدولة، ومن الطبيعي أن يكون للمسيحيين العاملين في المناصب العسكرية والإدارية الحساسة تأثير على شكل الدولة ومؤسساتها، فقد أصبحت وحدات الأمن أكثر يقظة، وانخفضت العنصرية، وقد لعب هؤلاء دورًا مهمًا في قمع كل محاولات التمرد، لكنهم أقلية موالية للدولة فقط، لم يكن لديهم ولاءات قبلية أو روابط تاريخية مع أي شريحة من المجتمع لذلك لم يتساحوا مع أي تمرد على الدولة، لأن سقوط الدولة يعني نهايتهم، وقد كان ذلك تكتيكًا معروفًا في هذه المرحلة التاريخية في الأنظمة السياسية، حيث كان توظيف الأقليات في المهام العسكرية وحراس شخصيين لأنهم لم يكونوا موالين لأي شخص آخر باستثناء رئيسهم، وساعد ذلك في وضع حدود بين الرعية والدولة للتصدي لأي محاولة للإطاحة بقيادة البلاد.

ساهم الجنود المسيحيون في قمع التمردات والثورات خاصة في المغرب الإسلامي، ومن الشواهد التاريخية على مشاركة الجنود المسيحيين في صد التمردات على الدولة أن علي بن تاشفين لم يتردد في استدعاء 4000 جندي مسيحي للمساعدة في حروبه ضد الموحدين.⁸⁰ لم يشترك المسيحيون فقط في الأجهزة الأمنية ولكن أيضاً في الصناعة العسكرية، حيث ساعدوا في دعم جيش المرابطين وأدخلوا تقنيات قتالية جديدة كانت مختلفة عن تلك الخاصة بالمرابطين⁸¹، كما ساهموا في تحسين تصنيع الأسلحة والذخيرة واستبدال الإبل بالخيول في المعارك⁸²، كما تم استبدال الأسلحة أيضاً بالدروع بدلاً من الأقواس ما أدى إلى تغيير موازين القوى أثناء المواجهات العسكرية بين المرابطين والمتمردين.⁸³

6- بناء الكنائس في المغرب وهامش الممارسة الدينية عند

المرابطين

على عكس الأندلس لا توجد روايات كافية حول المؤسسات الدينية للمسيحيين في المغرب الإسلامي أي أن المعلومات المقدمة غامضة وغير واضحة ومتناقضة أحيانا على سبيل المثال، أشار البكري (ت487هـ-1094)⁸⁴ إلى وجود الطوائف المسيحية في تلمسان في منتصف القرن الحادي عشر، وذكر أن لديهم كنيسة تُعرف باسم "كنيسة المعصرة" دون تقديم أي تفاصيل إضافية، كما يشير الحميري (ت.488هـ-1095)⁸⁵ إلى كنيسة في سبتة دون أن يحدد الفترة المحددة التي تم فيها إنشاء الكنيسة هل كان ذلك خلال أو قبل عصر المرابطين؟ أما في مراكش عاصمة المرابطين فوضع الكنائس كان غامضا كذلك، ويذكر الونشريسي أن المسيحيين سُمح لهم ببناء كنائسهم الخاصة في المناطق التي استقروا فيها، كما سُمح لهم بممارسة شعائهم الدينية، إضافة إلى ما سبق نقل الونشريسي فتوى عن ابن الحاج تسمح للمسيحيين ببناء الكنائس في الأماكن التي استقروا فيها بشرط عدم قرع الأجراس⁸⁶، وهذه الفتوى مدعومة بقرينة أخرى فقد روى البيهقي أنه في عام (549هـ-1155)، (بعد تسع سنوات تقريباً من سقوط دولة المرابطين)، قام عبد المؤمن "بغرس بحيرة أمام شنتلولية" من المرجح أن مصطلح

"شنطلول" يمثل اسم الكنيسة القديمة المعروفة باسم "القديس يولالي" والمصطلح هو تحوير لـ "القديس يولالي"⁸⁷ وهو ما يؤكد وجود كنيسة في مراكش في عهد المرابطين.

وثيقة مسيحية مهمة أخرى هي "أخبار الإمبراطورية" لألفونسو الثاني عشر تشير إلى أنه عندما احتل الموحدون مراكش عام (541هـ - 1147م)، عاد بعض المسيحيين الذين كانوا في صفوف جيش المرابطين إلى طليطلة مع قساوسة⁸⁸ وهو ما تدعمه مصادر عربية، حيث يروى أنه بعد سيطرة الموحدون على مراكش طلب عبد المؤمن من المسيحيين التفكير في أحد الخيارات الثلاثة التالية: إما أن يصبحوا مسلمين، أو يُقتلون، أو يعودون إلى إسبانيا⁸⁹.

إن هذه الوثائق وعلى الرغم من أهميتها غير كافية لإثبات وجود كنائس في المغرب، وربما يكون الأسقف الذي قيل أنه عاد إلى إسبانيا مع بعض المسيحيين عام (540هـ - 1146م) هو "مايكل بن عبد العزيز" المسيحي الأندلسي الذي كان من بين أولئك الذين أُجبروا على الهجرة إلى المغرب أين استقر في فاس ليس في مراكش (520هـ - 1126 / 531هـ - 1137)⁹⁰، كما يمكن أن تكون "شنطلول" مجرد كنيسة قديمة لذلك فإن وجود كنيسة في مراكش في عهد المرابطين قد لا يكون صحيحًا لعدة أسباب هي:

أولاً: تذكر المصادر العربية أن أول كنيسة بُنيت في مراكش كانت في عهد المأمون في عهد الموحدين⁹¹.

ثانياً: كانت الرسالة التي أرسلها علي بن يوسف إلى ابن ورد، وغيره من فقهاء غرناطة تسألهم عددًا من الأسئلة المتعلقة بالمسيحيين الذين أُجبروا على الهجرة إلى مكناس، وكان أحد الأسئلة طلبًا لبناء كنيسة، رفضه ابن ورد⁹²، وهذا يدل بوضوح على إجبار المسيحيين على أداء واجباتهم الدينية داخل منازلهم.

ثالثاً: يذكر الونشريسي في المعيار أن رجلاً مسيحياً في مراكش تظاهر بالإسلام بينما كان يؤمن بالمسيحية، اكتشف المسلمون في النهاية غرفة في منزله حيث احتفظ بصليب ونسخة من الكتاب المقدس وعصا وأشياء أخرى موجودة في الكنيسة⁹³، يشير هذا إلى أنه لم تكن هناك كنائس في مراكش وإلا ما كان على الرجل المسيحي أن يؤدي صلاته خفية.

من جهة أخرى عرف المرابطون بتشددهم بحيث لم يسمحوا ببناء الكنائس، بل وهدموا بعضًا منها في الأندلس إذ يتحدث ابن الصيرفي مؤرخ المرابطين عن أن ابن تاشفين أصدر أمرًا بدم كنييسة "البيرة" عام (491 هـ - 1098) بعد أن تلقى فتوى من فقهاء المسلمين⁹⁴، كما أن ابن سهل قاضي المرابطين في غرناطة أجاز في فتواه هدم الكنائس ومنع بناء كنائس جديدة في بلاد المسلمين⁹⁵، كما منع المرابطون المسيحيين في إشبيلية من قرع أجراس الكنييسة⁹⁶، وعلى الرغم من وقوع هذه الأحداث في الأندلس، إلا أنها تكشف بوضوح عن الموقف العام للمرابطين الذين لم يأخذوا بفتوى ابن الحاج في السماح ببناء الكنائس بسبب الفتوى الأخرى التي تحرم ذلك، ومع ذلك حتى لو كان بناء الكنائس محظورًا من المحتمل أن بعض المسيحيين في المغرب الإسلامي خاصة أولئك الذين ينتمون للحرس الملكي، شُح لهم بممارسة واجباتهم الدينية في الكنييسة القديمة "شنطلوليه" مقابل خدماتهم⁹⁷.

كانت صلاية المرابطين تجاه بناء الكنائس في بعض الأحيان بسبب الوضع العام للدولة، ووضعها المذهبي، والحرب المفتوحة مع قشتالة وأخبار انتقام ألفونسو من المسلمين في المدن التي أعيد احتلالها، والأخبار الرهيبة عن رودريجو دياز دي فيفار (487 هـ - 1094م/ 492 هـ - 1099م) واستئصاله الوحشي للمسلمين في بلنسية عام (488 هـ - 1095م) على وجه الخصوص، وتحويل جميع المساجد إلى كنائس، وعليه فمن المحتمل أن هذه الأسباب أدت إلى قبول المرابطين بهذه الفتاوى، وجدير بالذكر أن تفكيك كنييسة "البيرة" حدث بعد سقوط القدس على يد المسيحيين عام (491 هـ - 1098م)، والسبب الرئيسي لتدميرها هو أن الكنييسة كانت تستخدم كمكان للتخطيط ضد دولة المرابطين في الأندلس بمساعدة قشتالة، وبهذا يتضح أن المسلمين كانوا على علم بالتهديد المسيحي في تلك الفترة.

إن حظر بناء كنائس جديدة لا يعكس حالة الظلم تجاه المسيحيين في المغرب بل كان ذلك في سياق سياسي وعسكري خاص ميزه صراع المرابطين مع الكاستيلا، لا سيما أن اندماج المسيحيين في الحياة الاجتماعية والسياسية وفر لهم الحرية والعدالة⁹⁸ ومن الأمثلة

الواضحة على ذلك الأسقف الذي عاش في فاس لمدة 11 عامًا والذي كتب بعد ذلك نسخة من الكتاب المقدس دون مواجهة أي اعتراض من السلطة المرابطية⁹⁹.
وعليه فالرغم من حظر بناء الكنائس، فقد تم تمتع المسيحيون بمجموعة من الحقوق والامتيازات الأخرى في المغرب الإسلامي.

7- خاتمة

بعد هذا العرض التلخيصي لواقع الوجود المسيحي والدور الذي لعبه المسيحيون في المجتمع والدولة خلال الحكم المرابطي في بلاد المغرب الإسلامي، يمكن أن نؤكد أن عصر المرابطين لم يكن عصر الاضطهاد والتهميش للأقليات المسيحية، على عكس ما اعتاد عدد من المؤرخين تصويره، فالوجود المسيحي في المغرب الإسلامي أساسا يعود الفضل فيه إلى المرابطين، وذلك أنه بعد انحسار الوجود المسيحي - قبل قيام دولة المرابطين - بلغ عددهم الآلاف أو عشرات الآلاف بحكم جذب المرابطين للمسيحيين بغرض سد فجوات في دولتهم الناشئة.
وقد اتسمت الحياة الاجتماعية لمسيحيي المغرب بالاستقرار إلى حد كبير فقد خصص المرابطون لهم أحياء خاصة توفر لهم احتياجاتهم اليومية، بما في ذلك العديد من المواد الممنوعة في المجتمعات المسلمة مثل النبيذ، كما أنهم لعبوا دورًا بارزًا في الحياة السياسية الأمر الذي كان ملحوظًا في عهد علي بن يوسف حيث ساهموا بشكل فعال في إدارة شؤون الدولة من خلال المهام الإدارية التي كلفوا بها، أو من خلال دورهم العسكري الذي تجسد في مسؤوليتهم كحارس للأمر، هذا بالإضافة إلى مسؤوليات التدريب العسكري التي أسندت إليهم، وكان إنتساب المسيحيين إلى الجيش المرابطي أحد أبرز مداخل هذه الطائفة للحصول على مزيد من النفوذ و التأثير في هرم السلطة المرابطية.

ورغم وجود حالات يظهر فيها عدم تسامح المرابطين مع المسيحيين فيما يتعلق ببناء الكنائس مثلا أو عملية التهجير من غرناطة إلا أن دراسة معمقة في الأحداث قد تفضي إلى وجود أعدار منطقية لذلك، فقد لعبت طبيعة تلك الحقبة والخطر الذي أحدثه ألفسونو ومملكة

قشتالة على الوجود الإسلامي في الأندلس دورًا في بلورة موقف المرابطين من ممارسة الحرية الدينية للمسيحيين.

رغم ذلك فإن الوضع الذي تمتع به المسيحيون في شمال إفريقيا هو خطوة حضارية لافتة للانتباه مقارنة بأعراف العصور الوسطى، لا سيما بالمقارنة مع معاملة الجيش القشتالي للمسلمين في أراضيهم المستعادة خلال نفس الفترة.

8- الهوامش

¹ - خسي اليماني، الكتابات المسيحية في خدمة الملك، مجلة دعوة الحق، ع 187، الرباط، 2013م، ص 5.

² - المعيار للونشريس، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب للبكري.

³ - مثل ما تم تسجيله عنهم عندما غزا ألفونسو الأول غرناطة، أنظر: مجهول، الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية، تح: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشد الحديثة، الدار البيضاء، ط 01، 1399هـ- 1993م، ص 91.

⁴ - Dozy, R, Recherches sur la literature de l'Espagne au moyen age, Maisonneuve, Paris, 1881, et Terrase, H, Islam d'Espagne, Paris, 1958, et Dufourcq, C.-E, & Gautier

Dalché, J, Histoire de l'Espagne au moyen âge, Revue historique,

⁵ - Marslatrerie, M, L, Traite de paix et de commerce et document divers concernant les relation des chrétiens avec les Arabes de l'Afrique septentrionale au moyen âge, J, Baur et Detaille, Paris, 1866

⁶ - Dozy, R, Recherches sur la littérature de l'Espagne au moyen âge, p48

⁷ - Behaud Villard, J, Les Touaregs au pays du Cid. Les invasions Almoravids en Espagne au XI et XII siècles. Paris, Pion, 1946, P195.

⁸ - Dufourcq, C.-E., & Gautier

Dalché, Histoire de l'Espagne au moyen age, p140,

Terrase, H, Histoire du Maroc, Paris, 1960.

⁹ - عبد الله عنان، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1990 م، ص 420-422.

¹⁰ - Dufourcq, C.-E., & Gautier Dalché, J, Histoire de l'Espagne au moyen age, p245, 127-168.

¹¹ - أبو عبيد عبد الله البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د.ط)، 1999م، ص76.

12- Prevost, V, Les dernières communautés chrétiennes autochtones d'Afrique du Nord, Revue de l'histoire des religions, 2007, p 461-483.

¹³ - ابن أبي زرع علي بن عبد الله الفاسي، كتاب الأنيس المطرب بروض القراطس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة، الرباط، (د.ط)، 1972م، ص38.

¹⁴ - ابن عذاري، البيان المغرب في إختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، ج3، تح:بشار عواد معروف و محمود بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، تونس، (د.ط)، 1434هـ-2013م، ص101.

¹⁵ - مجهول، الحلل الموشية، ص 25، ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص59، القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين دار الطليعة، بيروت، (د.ط)، 1998 م، ص68، أشباخ يوسف، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، تر: محمد عبد الله عنان، مؤسسة الخانجي، القاهرة، مصر، ط 02، 1957م، ص 480، حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين؛ صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ط)، 1957م، ص38.

¹⁶ - مجهول، الحلل الموشية، ص84-131.

¹⁷ - نفسه، ص131.

¹⁸-Maslatrie, M.L, Traites de paix et de commerce et documents divers concenant les relation des chreties avec les Arabes de L Afrique septentrionale au moyen age , J.Baur et Detaille, Paris, p33.

¹⁹ - أحمد أبو العباس الناصري، كتاب الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ج2، دار الكتاب، الدار البيضاء، (د.ط)، 1955م، ص 69.

²⁰ - حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص380.

²¹ - ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص164.

- ²² - مارمول كرفخال، إفريقيا، ج2، تر: محمد حجي و آخرون، مكتبة المعارف الجديدة، الرباط، (د.ط)، 1984م، ص56.
- ²³ - ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، ص97.
- ²⁴ - أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن موسى بن بشكوال، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1410هـ-1989م، ص240.
- ²⁵ - ابن سلمون الكناي الغرناطي المالكي، العقد المنظم للحكام فيما يجري بين أيديهم من العقود والاحكام، تح: عبد الرحمن الشاغول، دار الآفاق العربية، القاهرة، (د.ط)، 2011م، ص132.
- ²⁶ - النونشريسي أحمد بن يحيى، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، ج2، إعداد محمد حجي آخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (د.ط)، 1981م، ص179.
- ²⁷ - أبي القاسم علي بن يحيى بن القاسم الجزيري، المقصد المحمود في تلخيص العقود، المجلس الأعلى للبحث العلمي، مدريد، (د.ط)، 1998م، ص237.
- ²⁸ - محمد بن عبد الله بن أبار، المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدي، دارالكتاب العربي، القاهرة، (د.ط)، 1967م، ص196.
- ²⁹ - Brunschvig, Rand H.A. Rosskeen Gibb, Encyclopedia of Islam, Leiden: Brill, 1984, p3912.
- ³⁰ - P.Manning, Slavery and African Life : Occidental, Oriental, and African slave trades, African Studies, 67, p28.
- ³¹ - ابن الخطيب، كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1، تح: محمد عبد الله عنان، دار المعارف، القاهرة، (د.ط)، 1956م، ص119.
- ³² - مجهول، الحلل الموشية، ص91، أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النبهازي المالقي الأندلسي، تاريخ قضاة الأندلس، دار الآفاق الجديدة، بيروت، (د.ط)، 1983م، ص99.
- ³³ - ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص59.
- ³⁴ - ابن الخطيب، المصدر السابق، ص120، الوزان الحسن بن محمد الفاسي، وصف إفريقيا، ج1، تر: محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، الرباط، ط2، 1982م، ص201.
- ³⁵ - مجهول، الحلل الموشية، ص90.
- ³⁶ - ابن الخطيب، الإحاطة ج1، ص204.

- 37 - محمود علي مكّي، وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، الرسالة رقم:1، المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، (د.ط)، 1960م، ص167، علاوة على ذلك ، ورد في الحلل الموشية أنه "تم الإجماع من جميع أنحاء الأندلس إلى مكناس وسلا ومدن أخرى في المغرب " أنظر: مجهول ، الحلل الموشية ، ص98.
- 38 - كانت المرحلة الأولى من الإجماع في ملقة عام 1106م ؛ الثانية في غرناطة عام 1126 م والثالثة في إشبيلية عام 1138م، أنظر: الونشريسي المصدر السابق، ج 8، ص56.
- 39 - مجهول ، الحلل الموشية ، ص91.
- 40 - نفسه، ص131.
- 41 - ابن عذاري، المصدر السابق، - قسم الموحدين- ، تح: محمد إبراهيم الكتاني و آخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، ط1 ، 1985م ، ص24.
- 42 - نفسه، ص90.
- 43 - ليون الافريقي، وصف إفريقيا، ج1 ، الشركة المغربية للنشرين المتحدتين، الرباط، (د.ط) ، 1984م، ص201.
- 44 - مجهول ، الحلل الموشية ، ص84.
- 45 - شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز أبو عبد الله الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط02، 1993 م ، ج4، ص59.
- 46 - محمد المنوني، التخطيط المعماري لمكناس عبر أربعة عصور، مجلة الثقافة المغربية، ع7، 1972م ، ص24.
- 47 - الوليد الطرطوشي، سراج ملك، المكتبة الأزهرية، القاهرة، (د.ط) ، 1999م، ص154.
- 48 - عبيد الله بن أحمد الرجالي ، أمثال العوام في الأندلس، تح: محمد بن شريفة، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، ص246.
- 49 - ابن الخطيب ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج1، ص103.
- 50 - خسي اليماني، المرجع السابق، ص3-5.
- 51 - عبد العزيز سالم، في تاريخ حضارات الإسلام في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (د.ط)، 1985م، ص176.

- 52 - دندش عصمت عبد اللطيف، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، دار العرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1408هـ-1985م، ص88.
- 53 - بوتشيش، المرجع السابق، ص 75.
- 54 - ابن رشد الجدل، فتاوى ابن رشد، ج 1، تح: المخطار بن الطاهر التليبي، دارالغرب الإسلامي، بيروت، (د.ط)، 1987م، ص605.
- 55 - بوتشيش، المرجع السابق، ص 75.
- 56 - أبو القاسم بن أحمد البلوي التونسي البرزلي، جامع مسائل الأحكام مما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، ج 1، تح: محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 2002م، ص506.
- 57 - بوتشيش، المرجع السابق، ص 75.
- 58 - ابن عذارى، المصدر السابق - قسم الموحدين، ص 71.
- 59 - ابن رشد، المصدر السابق، ج 3، ص 1619.
- 60 - ابن الزيات أبو العباس التادلي 617هـ-1220م، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تح: أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب، طبع مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، ط 2، 1997م، ص 323.
- 61 - ابن عبدون محمد بن أحمد التيجيبي، ثلاث رسائل أندلسية في الحسبة والمحتسب، تح: ليفي بروفنسال، مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية، القاهرة، (د.ط)، 1955م، ص 57.
- 62 - مرمول، المرجع السابق، ج 2، ص 56.
- 63 - أحمد مختار عبادي، الأعياد في المملكة غرناطة. مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، (د.ط)، 1975م، ع 15، ص 140.
- 64 - مرمول، المرجع السابق، ج 2، ص 128.
- 65 - Chovin, G, Apercu sur les relation de la France avec le Maroc des origines a la fin du moyen age. Hesperis,, 44, 1957, P267
- 66 - ابن الحاج التيجيبي، نوازل ابن الحاج، تح: أحمد شعيب اليوسفي، مطبعة تطوان، المغرب، (د.ط) 2018م، ج 1، ص 257.
- 67 - بوتشيش، المرجع السابق، ص 85.
- 68 - عز الدين عمر أحمد موسى، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، دار الشروق، القاهرة، (د.ط)، 1983م، ص 110.

- 69- مجهول ، الحلل الموشية ، ص 84.
- 70- خوسيه الماني ، المرجع السابق ، ص35.
- 71- للمزيد عن زوجة ابن تاشفين المسيحية المسماة قمر وجهودها في تنصيب حفيدها إسحاق بدلاً من تاشفين ولياً للعهد، أنظر: ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص 97.
- 72- مجهول ، الحلل الموشية ، ص 85.
- 73- النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج24 ، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، مصر، ط 01 ، 1423 هـ - 2002 م، ص 282.
- 74- J. Villard. op.cit. p 234 .
- 75-Lévi Provençal, E, L'Espagne musulmane au Xe siècle : Institution et vie social, Larousse, Paris, 2002, p 254-255.
- 76- بوتشيش ، المرجع السابق ، ص87.
- 77- حسين مؤنس، نصوص سياسية، مكتب الثقافة الدينية، القاهرة، 2000م، الوثيقة رقم 1 ، ص112.
- 78-Chaurebiere, C, Histoire du Maroc, Payot, Paris , 1931 , p173 .
- 79-Molénant ,R,I, Sur le rôle des Almohades dans la fin du Christianisme local au Maghreb en Al Andalous, 1997 ,P18.
- 80- مجهول، الحلل الموشية، ص131.
- 81- ابراهيم حركات، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل، بيروت، ط 14، 1996م، ص223.
- 82- Lagardere, V, Communautés Mozarabes et pouvoir Almoravides 519H/1125 en Andalous, Studia Islamica 1988, 67, p99-119, p 105 .
- 83- بوتشيش ، المرجع السابق ، ص 59.
- 84- البكري ، المصدر السابق ، ص76.
- 85- أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحيمري ، كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، مطابع دار السراج، بيروت، ط2، 1980 ، ص 203.
- 86- الونشريسي ، المصدر السابق، ج2 ، ص 215 - 241 .

87- أبو بكر بن علي الصنهاجي البيذق، كتاب أخبار المهدي ابن تومرت، دار المنصور للوراقة والطباعة، الرباط، 1971، ص 114.

88- بوتشيش، المرجع السابق، ص 83.

89- يوسف بردي بن عبد الله بن تغري، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج 5، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر، (د.ط)، 1963، ص 281.

90-Dufourcq, C. Les relation du Maroc et de la castille pendant le moitié du 13e s, Revue d'histoire et de civilisation du Maghreb, 5, 1968, p45.

91- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 250.

92- الونشريسي، المصدر السابق، ج 8، ص 58-59.

93- نفسه، ص 249.

94- الونشريسي، المصدر السابق، ج 2، ص 246.

95- نفسه، ص 240.

96- ابن عبدون، المصدر السابق، ص 55.

97- بوتشيش، المرجع السابق، ص 85.

98- نفسه، ص 87.

99- Dufourcq, Les Relations du Maroc et de la Castille pendant, p114.

قائمة المراجع

- 1- ابراهيم حركات، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجليل، بيروت، 1996م.
- 2- ابن أبي زرع علي بن عبد الله الفاسي، كتاب الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1972م.
- 3- ابن الأبار حمد بن عبد الله، المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدي، دارالكتاب العربي، القاهرة، (د.ط)، 1967م.
- 4- ابن الحاج التيجي، نوازل ابن الحاج، تح: أحمد شعيب اليوسفي، مطبعة تطوان، المغرب، 2018م.

- 5- ابن الخطيب، كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: محمد عبد الله عنان، دار المعارف، القاهرة، 1956م.
- 6- ابن الزيات أبو العباس التادلي ت 617هـ - 1220م، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تح: أحمد التوفيق، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، 1997م.
- 7- ابن رشد الجد، فتاوى ابن رشد، دارالغرب الإسلامي، بيروت، 1987م.
- ابن عبدون محمد بن أحمد التيجي، ثلاث رسائل أندلسية في الحسبة والمحتسب، مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955م.
- 8- ابن عذاري، البيان المغرب في إختصار أخبار ملوك الأندلس و المغرب، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2013م.
- 9- نفسه، - قسم الموحدين-، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985م.
- 10- ليون الافريقي، وصف إفريقيا، الشركة المغربية للنشرين المتحدتين، الرباط، 1984م.
- 11- ابن سلمون الكناي الغرناطي المالكي، العقد المنظم للحكام فيما يجري بين ايديهم من العقود والاحكام، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2011م.
- 12- أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن موسى بن بشكوال، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1989م.
- 13- أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النبهاني المالقي الاندلسي، تاريخ قضاة الاندلس، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1983م.
- 14- أبو القاسم بن أحمد البلوي التونسي البرزلي، جامع مسائل الأحكام مما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2002م.
- 15- أبو القاسم علي بن يحيى بن القاسم الجزيري، المقصد المحمود في تلخيص العقود، المجلس الأعلى للبحث العلمي، مدريد، 1998م.
- أبو بكر بن علي الصنهاجي البيذق، كتاب أخبار المهدي ابن تومرت، دار المنصور للوراقة والطباعة، الرباط، 1971.

- 15- أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحَمِيرِي ، كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، مطابع دار السراج، بيروت، 1980.
- 16- أبو عبيد عبد الله البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 1999م
- 17- أحمد أبو العباس الناصري ، كتاب الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ج2، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1955م.
- 18- أحمد مختار عبادي، الأعياد في المملكة غرناطة. مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، 1975 م .
- 19- الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، دار الكتاب العربي، بيروت، 1993 م.
- 20- القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين دار الطليعة، بيروت، 1998.
- 21- النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد، نهاية الأرب في فنون الأدب، ، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2002م.
- 22- الوزان الحسن بن محمد الفاسي، وصف إفريقيا، دار الغرب الإسلامي، الرباط، ط2 ، 1982 م
- 23- الونشريسي أحمد بن يحيى، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، 1981م.
- 24- الوليد الطرطوشي، سراج ملك، المكتبة الأزهرية، القاهرة، 1999م.
- 25- أشباح يوسف، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، مؤسسة الخانجي، مصر، 1957م .
- 26- حسن أحمد محمود ، قيام دولة المرابطين؛ صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، القاهرة، 1957.
- 27- خسي البماني، الكتابات المسيحية في خدمة الملك، مجلة دعوة الحق، ع 187، الرباط، 2013م.

- 28- دندش عصمت عبد اللطيف، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، دار العرب الإسلامي، بيروت 1985م.
 - 29- عبد العزيز سالم، في تاريخ حضارات الإسلام في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1985م.
 - 30- عبد الله عنان، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1990م.
 - 31- عبيد الله بن أحمد الزجالي، أمثال العوام في الأندلس، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية.
 - 32- مارمول كرفخال، إفريقيا، مكتبة المعارف الجديدة، الرباط، 1984م.
 - 33- مجهول، الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1993م.
 - 34- محمود علي مكي، وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، 1960م.
 - 35- محمد المنوني، التخطيط المعماري لمكناس عبر أربعة عصور، مجلة الثقافة المغربية، ع7، 1972م.
 - 36- يوسف بردي بن عبد الله بن تغري، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر، 1963.
- المراجع باللغة الأجنبية

- 1- Behaud Villard, J, Les Touaregs au pays du Cid, Les invasions Almoravides en Espagne au XI et XII siècles. Paris, Pion, 1946.
- 2- Brunschvig, Rand H.A. Rosskeen Gibb, Encyclopedia of Islam, Leiden: Brill, 1984.
- 3- Chaubiere, C, Histoire du Maroc , Payot, Paris , 1931 .
- 4- Chovin, G, Aperçu sur les relation de la France avec le Maroc des origines à la fin du moyen âge . Hesperis, 44, 1957.

- 5- Dozy, R, Recherches sur la littérature de l'Espagne au moyen âge, Maisonneuve, Paris , 1881,
- 6- Dufourcq, C.E., & GautierDalché, J,Histoire de l'Espagne au moyen âge.
- 7- Terrasse, H, Histoire du Maroc, Paris, 1960.
- 8- Dufourcq, C. Les relation du Maroc et de la castille pendant la moitié du 13e s, Revue d'histoire et de civilisation du Maghreb ,5, 1968.
- 9- Dufourcq, C.E, & GautierDalché, J, Histoire de l'Espagne au moyen age, Revue historique.
- 10- Lévi Provençal, E, L'Espagne musulmane au Xe siècle : Institution et vie social, Larousse, Paris, 2002.
- 11- Marslatrerie,M,L, Traite de paix et de commerce et document divers concernant les relation des chrétiens avec les Arabes de l'Afrique septentrionale au moyen âge, J, Baur et Detaille, Paris, 1866.
- 12- Molénant,R,I, Sur le rôle des Almohades dans la fin du Christianisme local au Maghreb en Al Andalous, 1997.
- 13- Prevost, V, Les dernières communautés chrétiennes autochtones d'Afrique du Nord, Revue de l'histoire des religions, 2007.
- 14- P.Manning, Slaveryand African Life : Occidental, Oriental, and African slave trades, African Studies Series.
- 15- Terrasse, H, Islam d'Espagne,Paris, 1958.